وإنّك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، لكن ... قد أظلّك زمان نبي، يخرج من بلادك، يُبعث بدين الحنيفية، فالحق به. فأسرع زيد يغادر أرض الغربة، فلولا أن عاجله أجله على طريق العودة لالتحق بالرسول. * * * قُسّ بن ساعِدَة[460] وها هو أيضاً: قُسّ بن ساعدة الإيادي، الشاعر الذي علت به السنّ، وزحفت به في المعمّرين إلى أقصى الأشواط. الفتيان الأُولى عاصروا شباب محمد بمكة قد عاصروا هذا الكهل، وربّما شهدوه، والأُلى شارفت بهم فتوتهم مطلع النبوة لابدّ قد سمعوا عنه، ومن وراء أولئك وهؤلاء حشود وحشود أحاطوا بسيرته، ورووا من شعره ما ترامت به الأحاديث. قيل: وفد الجارود بن عبدالله ـ وكان سيد قومه ـ على رسول الله، فسأله النبي الكريم إن كان معه من عبدالقيس من يعرف قساً، فأجاب: كلّنا نعرفه ... وأنا كنت أقفو أثره. واستعاد ذكرى حضرته، ثم أضاف: كأنّي أنظر أُمية يقسم بالربّ الذي هو له، ويخاطب الناس: ليبلغنّ الكتاب أجله، وليوفينّ كلّ عامل عمله. ثم أنشأ يقول: هَاجَ للقلبِ من هَواه ادّكارُ *** ولِيال خَلا لهنّ نهارُ